النشاط الثقافي في الوطن العربي

من مراسلي «الآداب»

لبنان

مؤتمر كتّاب فلسطين

عقد في السادس من ايلول المؤتمر الاول للكتاب والصحفيين الفلسطينيين في قاعة جمال عبد الناصر بجامعة بيروت العربية .

وقد شارك في المؤتمر عدد كبير من الكتاب والصحفيين الفلسطينيين وانتخبوا لهم امانة عامة جديدة .

وتكلم في جلسة الافتتاح السيد ياسر عرفات رئيس اللجنة التنفيذية والقائد العام لقوات الثورة الفلسطينية ، كما تكلم الاساتذة كمال ناصر واحمد بهاءالدين ورياض طه .

وننشر في ما يلي كلمة الدكتور سهيل ادريس الامين العام لاتحاد الكتاب اللبنانيين :

يا اخوتنا كتّاب فلسطين وصحافييها .

لماذا تعقدون مؤتمركم هذا في بيروت اليوم ؟

ايكون مؤتمرا آخر كسائر المؤتمرات العربية ، سياسية كانت ام ادبية ، يعقدها المؤتمرون ليتدارسوا القضايا المطروحة ، او ليحاولوا ايجاد حلول لمشكلات يعانونها او تعانيها شعوبهم ، فلا يخرجون من مؤتمرهم الا بتوصيات عقيمة لا تزيد القضايا والمشكلات الا تعقيدا ؟

ايكون مؤتمرا آخر يتجنب فيه المؤتمرون الصدق والصراحة ، ويتبادلون العملة الزيفة ويبتعدون ما امكنهم عن مواجهة الوقائع والمصارحة بالحقائق ؟

ايكون مؤتمرا آخر يراد لحل الخلافات ورأب الصدوع ، فيحول النفاق والمجاملة والزيف دون حل اي خلاف ، ويساعد ذلك كله على تأييد الوضع القائم والحفاظ على الورم والتقيح في الجسم العربي المريض ، حفاظا على المكاسب والمواقع او ايثارا للسلامة والعافية ؟

نعيذكم ، يا اصدقاءنا ، من ان يكون مؤتمركم كهذه المؤتمرات ، او ان يصير الى مثلها .

نعيذكم من المشاركة في التآمر اذ تعقدون هذا المؤتمر .

ذلك انكم لا تنتسبون الى ما ينتسب اليه عاقدو المؤتمرات العربية من حكم او سلطة ، بل تنتسبون الى اشرف ثورة واطهر ثورة . الثورة الفلسطينية .

افلا ذكرتم ذلك في كل لحظة من لحظات مؤتمركم ـ ان الثورة التي تنتسبون اليها كانت وما تزال وستبقى معقد آمال الاجيال العربية وانها وحدها القادرة على استرداد الايمان بفكرة الثورة في هذه المحنة التي تواجهها الثورة العربية اليوم من جراء محاولة تزييفها وتحريفها ؟

ومع ذلك ، فسوف نكذب على انفسنا ، وسوف تكذبون على انفسكم ايها الاصدقاء اذا زعمنا ان الثورة الفلسطينية اليوم بخير وعافية .

انكم تعترفون ، دون ريب ، انها تعاني نزيفا شديدا يوشك ان يجفف الدم في عروقها ، وانه لولا انتفاضات وتوهجات في رجال المقاومة وارض المقاومة ، لاستكانت الثورة وفقدت نبضها وحيويتها .

اليس من مهمة مؤتمركم هذا ان يواجه هذه الحقيقة ، فيعالج هذا النزيف ويحاول ان يضمده ليرد لدم الثورة حرارته وتدفقه ؟

ان هذا النزيف يصدر عن جروح خارجية ، وجروح داخلية . ولا شك في ان معالجة الداخلية من هذه الجروح اصعب واشق من معالجة الخارجية ... ولا يفيدنا في شيء ان نتجاهل او نتستر على هذه الخلافات التي تفري اليوم جسم الثورة وتقطعه .. فمن لمواجهة هذه الخلافات الدامية خير من الكتاب والصحفيين الذين هم صفوة المثقفين؟

ان في برنامج مؤتمركم بندا ينص على تشكيل لجان المؤتمر ، ومنها اللجنة السياسية التي ستعالج موضوع « الثورة الفلسطينية في المرحلة الراهنة » ، ونحن نعتقد ان عمل هذه اللجنة هو اهم عمل يواجهه المؤتمر ، وان اعمال اللجان الاخرى اعمال روتينية تعرف مثلها الكثير ، وقلما تجدي فتيلا ... ذلك ان مسؤولية الكتاب والصحفيين في تشريح وضع الثورة الفلسطينية مسؤولية ضخمة يتوقف على الاضطلاع بها مستقبل الثورة كله . واذا اخلص الكتاب لرسالتهم وتمسكوا بالموضوعية التي تجنبهم الانحياز ، وواجهوا قادة الثورة بالجرأة والصراحة ، فانهم خليقون بان يقفوا هذا النزيف ويعيدوا للثورة عافيتها وقدرتها على القيام برسالة التحرير .

ايها الاصدقاء الاعزاء .

ان بامكان اي مؤرخ ادبي ان يقرر بكل ثقة ان مرحلة الادب العربي التي اعقبت هزيمة حزيران ١٩٦٧ هي مرحلة « الادب الفلسطيني » سواء اكان منتجوه ادباء فلسطينيين او ادباء عربا ينتمون الى مختلف اجزاء الوطن العربي .. فالحق ان اعمق ما انتجه ادباؤنا في السنوات الخمس الماضية يمت باوثق الاسباب الى ماساتنا الفلسطينية .

ان هذه القضية اصبحت المحور الاساسي لكل شعر الشعراء وقصص القصاصين ودراسات الدارسين ، وقلما نجد قصيدة او قصة او رواية الا وفيها انعكاسات لوضع الانسان العربي المازوم والمهزوم ، هذا الانسان الذي تكاد الهزيمة ان تلقي به في مهاوي اليأس ... ولا ريب في ان كتّاب فلسطين يسهمون اعظم الاسهام في ابداع هذا الادب وان جيلا برمته من ادباء فلسطين الشبان يثبت اليوم وجوده في تصوير اشواق الانسان الفلسطيني وآلامه ، ويبلغ في هذا التصوير حدا من الاصالة والشمول يجعل هذا الانسان رمزا لكل انسان مضطهد مظلوم يثور من اجل تحقيق انسانيته واسترداد اعتباره . واسماء الكتّاب الفلسطينيين تحتل صفحات المجلات والكتب بحيث يستطيع اي راصد ادبي او مؤرخ اجتماعي ان يجدا اصدق وثيقة واعمق شهادة على وضع الانسان العربي في انتاج هؤلاء الادباء الفلسطينيين .

على ان ما تعانيه الثورة الفلسطينية في هذه المرحلة من القضية جدير به ان يدعو ادباءها وكتّابها ومفكريها الى مزيد من الصراحة والصدق والتعرية .. ان للثورة اعداء من اصدقائها او مما يدعون صداقتها ، حتى داخل الثورات العربية الاخرى .. وروح الثورة تعاني بين الحين والحين تخاذلا ودعة واستسلاما . وليس احدا بحاجة الى التاكيد بأن من مهمة الكتّاب الفلسطينيين خاصة ان يفضحوا تلك الادعاءات والانحرافات والتخاذل والخيانة ، فيما هم ينتجون الادب الذي يمجد البطولات التي يقوم بها رجال المقاومة ونساؤها .

ان عمل الاديب الاصيل عمل متكامل في تسجيل الايجابيات وفضح السلبيات . ولعل ما يشكوه ادبنا مر الشكوى ان ادباءنا لا يعملون المبضع في الدمامل التي تشوه جسم الانسان العربي بقدر ما يهدهدون المواضيع السليمة في هذا الجسم بمراوح المجاملة والنفاق . وان الفساد الذي يعشش في كيان المجتمع العربي ، على مستوى السلطات والجماعات والافراد ، باسس الحاجة الى اقلام ثورية تفضح

هذا الفساد وتعريه . وادباء فلسطين على الاخص ، لكونهم ، غير مرتبطين باية سلطة ، وكل سلطة هي مبدئيا سلطة قمعية ، اقدر الادباء العرب على القيام بهذه المهمة ، تمهيدا لطريق ثورتهم الفلسطينية اولا وارهاصا بالثورة العربية الحقيقية الاصيلة .

فهل نطمع ، ايها الاخوة ، بان يكون من آثار مؤتمركم هذا ان يتضافر كتاب فلسطين وصحفيوها على خلق انتاج جديد يضيف الى قسمات الادب الفلسطيني نبرة اعلى من الثورية الهدامة البناءة من اجل مولد الانسان العربي الجديد .

حظا سعيدا وتوفيقا كاملا لمؤتمركم في هذه العاصمة التي ستظل، رغم كل محاولات الانعزاليين ، حصنا للعروبة وحضنا للثورة الفلسطينية المناضلة .

رواية توفيق يوسف عواد

اهتمت الصحف اللبنانية طوال هذا الشهر بصدور رواية الاستاذ توفيق يوسف عواد الجديدة « طواحين بيروت » ، وعقدت مع المؤلف عدة احاديث ونقلت بعض فصول الرواية .

وكان رئيس تحرير « الاداب » قد كتب في العدد الماضي كلمة بعنوان « عودة الفنان » اشار فيها الى مزايا هذه الرواية التي كان المؤلف قد اسماها « ارواح للايجار » ، ثم عدل عنه الى « طواحين بيروت » . وسئل الاستاذ عواد عن سبب هذا التعديل فقال :

« ان الرواية تدور حوادثها في هذا الزمن وتحاول تصوير الجيل الجديد ويلوح لي ان ابناء هذا الجيل يؤجرون ارواحهم ايجارا لاي مبدأ واي هوى ، ثم يغيرون عقود الايجار او ينكرونها ، وحين جاءت الملزمة الاولى من المطبعة الى البيت ، جعلت اتأمل في العنوان كام تنادي طفلها لاول مرة . مزيج من حب وحنان وفخر . وجعلت اقرأ عاليا بيني وبين نفسي مصغيا الى اصداء ترده في افواه القراء . ظللت افكر في العنوان .وفي القيلولة اخذت اردد:بيروت يا بيروت يا طاحنة القمح والزؤان والاعراض والاجساد والارواح جميعا ، يا طاحنة المباديء والعقائد والاخلاق ، يا طاحنة العلم والادب والفن وتلك طواحينك تجعجع اثناء الليل واطراف النهار . وهكذا لمع في ذهني عنوان « طواحين بيروت » .

وتحدث عن معاناته في الكتابة فقال : انني انسان قلق والقلم في يدي حائر لا يعرف الاطمئنان ، لا يعرف ماذا اريد منه ! اسوقه يمينا ثم اثنيه شمالا ، اكتب واشطب ، واديره على نفسه على الورق حتى يطيش . ولعل هذا هو سبب هروبه مني . فلم اجد يوما قلما في جيبي انني استيقظ غالبا من نومي في منتصفات الليالي لاعود الى نص من النصوص كتبته ، وكان يخيل لي اذ فرغت منه انه جيد ، واني قد رضيت عنه ، فاذا بي امزقه واعود لاكتب سواه .

اما عن حالات قلقه فرد ذلك الى كونه يحمل ، ككل انسان شخصيتين : الانسان الذي يدرج بين الناس ويعيش معهم . والشخصية الاخرى هي شخصية الفنان . والعلاقة بينهما هي العلاقة بين الفن والحياة . ان الفن مستمد من الحياة ولا معنى له اذا لم يكن كذلك ، ولكنه اعادة خلق لها . في الفترة التي انقطع فيها عن الكتابة بدت له الحياة اكبر واهم من اي تجربة ادبية ، ثم تبين له انه لا يستطيع الحياة الا اذا صحبها الادب ، لقد عاد الى الكتابة ليعيد خلق الحياة كما يريد .

وتحدث المؤلف عن غايته في الكتابة فذكر انه يسعى بواسطتها الى ذاته ، ويبحث عنها ، ويحاول اكتشافها . وفي ذلك كل شقائه وكل هنائه معا .

وفي تأكيده على الذات يؤكد ، بكل بساطة على الوجه الانساني ان الانظمة السياسية الطاغية في هذا العصر توحي بان الوجه الانساني يوشك ان يغيب ، على انه يعتقد ان جوهر الانسان وفيه شيء من السماء ، لا يمكن ان يزول مهما تبدلت انظمة الارض . والادب سلوك في جوهر الانسان . اذا اضاع سبيله اضاع رسالته .

وتحدث الكاتب عن علاقة الشعر به كروائي فقال ان ليس من روائي يستحق هذا الاسم الا وهو شاعر فاذا عدنا الى كبار الروائيين في العالم ، دوستويفسكي ، فلوبير ، همنغواي ، تبين انهم ، وان لم ينظموا شعرا فهم شعراء في الاجواء التي يخلقونها . فالشاعر ، مزيته الاولى انه يستطيع ان يعيش مع الانسانية جمعاء ، يألم ويفرح كمثل الالم والفرح اللذين يحس بهما الاخرون ، ومزية الروائي انه يزيد على الشاعر انه خالق عوالم ، في حين يقتصر الشاعر على خلق الجو فقط . والعالم عبارة عن عدة اشخاص وعن حوادث يصطدم بعضها ببعض ، وعن طبائع مختلفة وظروف اجتماعية تتبدل بتبدل الامكنة والازقة . والروائي المبدع لا يقتصر على تجميع الحوادث ، بل يخلقها خلقا جديدا وينفخ فيها من انفاسه . وهنا مجال الشعر .

وتطرق الكاتب الى علاقته بالارض فاكد حبه لقريته «بحرصاف» وتعلقه بها . انه يدور العالم – بحكم وظيفته كسفير للبنان – ويعود اليها . قال : هذه الارض انا . بنيت منها صومعة تعلو قليلا عن منزلي كي اشعر ، وانا امارس وحدتي بصلابة ارتباطي بها . ان حب الارض ابعد من الامل ومن اليأس . حب الارض كحبنا للحمنا ودمنا . اليست الارض اصلنا ، وفي نهاية النهايات لحمنا ودمنا ؟ انني احب هذه الارض ، احب ملمس الحجر وشميم التراب .

وتحدث توفيق عواد عن ظروف روايته « طواحين بيروت » فقال :
لقد كتبها في طوكيو عام ١٩٦٨ وهي السنة التي اشتعلت فيها الحركة الطالبية في جامعات بيروت ، وانطلقت الدعوة في اكثر الصحف والاندية الى الثورة ، وهي كذلك السنة التي ضربت فيها اسرائيل مطار بيروت الدولي . ولهذه الاحداث جميعا اهمية في الرواية .

هل تقف روايته على ارض الادب للادب ام ارض الادب للثورة .
ان القاص يؤكد انه عندما يكتب لا ينظر الا الى الفن . ولا يهمني خارج الفن اي اعتبار اخر .

وصرح ان لا تناقض بين رأيه هذا وبينه كثائر . ذلك ان « ثورة لبنانيتي » ليست صادرة عنه بصورة تقريرية فليس له من اول الرواية الى اخرها اي رأي شخصي في اي موضوع من الموضوعات التي تصدى لها في الكتابة وانما هم ابطال روايته : هاني الراعي ، تميمة نصور ، رمزي رعد ، روز خوري ، اكرم الجرذي ، حسين القموعي .. هم الذين يعيشون المشكلات التي يتخبط فيها المجتمع اللبناني اليوم ويصطدم بعضهم ببعض . فمواقفهم خلال حوادث الرواية في ظروف تشكل حقبة مصيرية من تاريخ لبنان هي التي تعبر بصورة غير مباشرة عن افكاره ومطامحه ، وبالتالي عن ثورته .

اما اشخاص الرواية فهم نماذج لفئات معينة في المجتمع اللبناني المعاصر ، هناك مثلا صاحب الافكار الهدامة ، وهناك المحافظ على التقاليد الموروثة . هناك الفتاة المتحررة التي تريد كسر الطوق ، وهناك الام التي تقف . دونها سدا ، وترى في تصرف ابنتها كفرا . هناك المؤمن بربه المزاول لطقوس دينه الى جانب المستهتر الذي لا يؤمن بشيء . الرواية صورة عن المجتمع اللبناني بل العربي اطلاقا ،

وخصوصا صورة الصراع القائم بين الجيلين : جيلنا نحن ، وجيل الابناء . وهذا الصراع عنيف جدا ، وفي كل بيت من البيوت اللبنانية هوة تفصل بين الآباء والبنين ، وهي تتناول الدين ، والسياسة والاخلاق والجنس . ولقد وقف الكاتب فوق هذه الهوة يعيشها ويرسم للقارىء ، ما استطاع ، ابعاد ما نوحي به ، من غير ان ينادي مع ذلك بالويل والثبور باي شكل من الاشكال او يرحب بالموجات الجديدة.

ولكن هل معنى ذلك ان الكاتب يتفرج على طواحينه ؟

يقول المؤلف انه لا ينسى انه ليس مؤخرا ، وانما هو روائي. فاشخاص روايته ، وان كان قد تخيلهم نماذج من المجتمع اللبناني، الا انهم جميعا من خلقه . فهو سوى طينتهم بيده ونفخ فيهم من انفاسه .

هل هم رسله ؟. ايضا لا .ان الروائي يستطيع ان يعيش عدة حيوات . انه يستطيع ان يكون ملاكا ، وان يكون شيطانا في وقت واحد . هذه مزيته الاولى بمعنى انه غريب عن اشخاص روايته، واشخاص روايته جميعا كلهم في الوقت نفسه هو .

ان على الفنان ان يثبت قدرته على ان يتلبس العواطف الانسانية على تنوعها وتناقضاتها من اعلى المستويات الى ادناها .

هل ابطاله من طينة الواقع ؟

يوضح المؤلف ان الابطال ـ في الحياة الواقعية ـ لا يذهبون في اقدارهم الى اقصاها ، بل يقفون بين بين . الفن يتناول هؤلاء الابطال ويذهب بهم ويدفعهم الى اقصى اقدارهم فيعيشونها للنهاية، وهكذا يصيرون ابطالا . وابطالا مميزين . ربما كانت المآسي الانسانية . هي هي منذ نشوء الخليقة الى اليوم . والروائيون يدورون حولها ولا يكادون يتجاوزونها الى شيء جديد . كل هذا قد يبدو من حيث الصورة العامة مقنعا .

ولكن الحقيقة ان هناك دائما ما نعتبره جديدا ، والجديد هو الظروف النفسية والاجتماعية والسياسية التي تتكيف بها هذه المآسي وتختلف باختلاف الكتاب وباختلاف الازمنة ومما يجعل هذا الجديد جديداً الى الان هو مروره في شقوق اقلام يعبر كل واحد منها عن مزاج الكاتب ، ويحمل انفاسه ، وليس من مزاج الا وهو مختلف عن الامزجة الاخرى . وليس من انفاس الا وهي مختلفة عن الانفاس الاخرى .

*

ج . م . ع .

رسالة القاهرة من سامي خشبة

عن المجلات الثقافية ، قديما ، وحديثا !

تستطيع هذه « المجلات » ان تلخص ما ندين به لهؤلاء « الآباء » .. ذهبوا خفافا وتركوا لنا هذه التركة .. نتبناها ، نتمسك بها .. نكافح ضد سيطرتها .. نتخلص منها ، ولكن تظل علاقتنا بها جزءا من علاقتنا بتاريخنا الشخصي ، وبذواتنا . كفاحنا ضد سيطرتها ، او تخلصنا منها معناه انها كانت موجودة بقوة ، وان وجودها كان له جذوره وما يبرره . يؤكد هذا الكفاح وجودها في التاريخ ويصحح وجودها في الحاضر وفي المستقبل .. يجعله وجودا صحيا حينما نتمكن من اختيار ما يلائمنا لنحافظ على حياته المستمرة .. ولكن المهم ان هذه « المجلات » كانت موجودة ولذلك اصبح من الممكن ان تكون موضوعا للتبني والكفاح واستمرار الوجود وتصحيحه .. المهم انها كانت موجودة .

في اثناء اعادة ترتيب بعض رفوف المكتبة ، عدت الى بعض من « تركة » الاباء في الثلاثينات والاربعينات . كانت عندنا مجلات : الرسالة والرواية والميزان والثقافة والكاتب المصري والفجر والملايين وغيرها ، وغيرها .. والقضية ليست في « العدد » .. نستطيع ان نعد اكثر من عشر مجلات ، ظهرت في عشرين عاما ، وعاش بعضها اكثر من العشرين سنة ، ولم يستمر بعضها اكثر من سنوات معدودة او شهور قليلة .. ولكن القضية ايضا لا تقف عند حدود « عمر » كل مجلة.

اكثر هذه المجلات كانت « محافظة » وكان اقلها « تقدميا » . ولكنها جميعا ، وفي غالبيتها الغالبة ، كانت « جادة » تستطيع ان تصمد لمطالب الحياة الثقافية لطبقة متوسطة قارئة ، تجاهد ان تتعرف على ما جرى قديما ، وما يجري في العالم ـ في اغلب مجالات المعرفة والفن والفكر ـ وتجاهد ان تفرز ما يجعل لها نصيبا في التعبير عن ادراكها لهذا العالم وحساسيتها ازاءه . كانت تلك الطبقة المتوسطة ، ما تزال في مرحلة اقبالها على العالم، شهيتهامتفتحة لالتهام ما تستطيعه ولاعطاء ما تقدر عليه . كانت في مرحلة مواجهة مع العالم ولم تكن في مرحلة محاولة التخلص من المواجهة باي ثمن يكفل لها الاستمرار على قيد الحياة ، وفي قمة الحياة في وقت واحد !.

كانت تلك المجلات ـ في اكثر حالاتها بعدا عن الحياة الواقعية باي مفهوم عن هذه الحياة ، كانت تستطيع ان تكون تعبيرا حيا عن هموم « العقل » الكلاسيكي في جدية ، حتى وان عجزت عن ان تكون تعبيرا حيا عن عصرها .

مجلة « الرسالة » التي اصدرها احمد حسن الزيات ، استاذ « الاسلوب » والمدافع الكبير عن « اولوية التعبير » وعن « الجمال اللغوي » وعن « الشكل المجرد » ، وارث اصحاب الاساليب ، مطبقي البديع والبيان وعلوم البلاغة العربية في مجال الادب الخالص ، والتي كانت مجلته (او مجلتاه بعد ان اصدر « الرواية » مع الرسالة) ، اقول ان هذه المجلة ، بعد ان عاشت طويلا تحمل مسؤولية النشاط الادبي الخالص لوجه الادب والمعرفة بصرف النظر عن الصراعات والالتزامات السياسة (الحزبية) والاجتماعية (الطبقية) ، اصبحت موضعا لهجوم « الشباب المتمرد » في ذلك « العصر ! » . الشباب العقلاني :

طه حسين واحمد امين وزكي مبارك وعباس العقاد والمازني ثم محمد مندور ، او الشباب الرومانتيكي : احمد زكي ابو شادي وفريد ابو حديد ويحيى حقي وعبدالرحمن الشرقاوي وعبدالرحمن الخميس وكمال عبدالحليم واحمد باكثير ونجيب محفوظ وتوفيق الحكيم .. (وغيرهم وغيرهم دون ترتيب تاريخي) .

هذه المجلة التي تمرد عليها الشباب العقلاني والشباب الرومانتيكي

في وقت واحد ، عاشت اكثر من عشرين سنة ، واستحقت أن يتمرد عليها الشباب في ايامها ، ولكنها في بداية (وحتى نهاية) الاربعينات كانت ما تزال قادرة على ان تحافظ على جديتها (والجدية هنا معناها اتخاذ موقف من الحياة بطريقة تجعل لاتخاذ المواقف معنى فكريا ، لا معنى سلطويا) وعلى مستواها العقلي الذي يجعل الاختلاف حتى مع « الرجعية » اختلافا مثمرا لثقافة الامة لانه يظل اختلافا حول « قيم » الحياة ، وليس حول من يكون صاحب الحق في اصدار القرارات او في الغاء حق الاخرين في الاختلاف والانتقاد ، الا اذا كانوا مثل المهيمن على جهاز اتخاذ القرار ، مستندين الى قوة سلطوية اجتماعية تجاهد لكي تسيطر على نفس الجهاز !.

قفزت مع رفوف المكتبة ـ مع هذه « التركة » ـ قفزة اخرى الى الوراء ، في الزمان ايضا . برزت لي « المجلة الجديدة » مجلدة في مجلدين يضمان كل اعدادها . انها مجلة « تقدمية » في ايامها ، وفي ايامنا . الى جوارها اعداد خاصة من الهلال عن « المتنبي » وعن « هارون الرشيد » .. تلك مجلة « سلفية » ولكنها تهتم بتدعيم سلفيتها بالمعلومات وباحياء المناخ الذي تريده ان يسود الحياة . بعدها مجلدات من المطبوعات الخاصة لمجلة « المقتطف » . اعداد خاصة عن « فتوح العلم الحديث » وعن « اساطين الفلسفة الغربية » وفي الصفحة الاولى رسم لسقراط . (كانت « المقتطف » نفسها مجلة استعمارية !) لماذا احتفظ ابي بهذه المجلات ؟ ولماذا احتفظ بها انا ؟ ولماذا ـ اغلب الظن ـ ساحتفظ بها لولدي الذي لم يكد يتعلم الكلام ؟

* * *

ليست القضية اننا في حاجة الى مجلات ثقافية متخصصة ، القضية هي اننا لا ننتج مثل هذه المجلات . والمشكلة هي اننا حين ننتجها الان نعاملها باستخفاف (اخشى ان اقول بازدراء) بدليل اننا نستطيع ان نترك « مصر » تعيش دون مجلة ثقافية حقيقية لاكثر من سنتين ، قد تصبحان سنوات !.

والقضية هي اننا نحتاج الى مجلات تستطيع ان تحمل هموم « العقل » الفكرية والمعرفية والنظرية ، في الفن والادب والسياسة والعلوم الانسانية ، مجلات غير « مقفلة » على مجموعة شخصية واحدة (في اغلب الاحوال تكون من اتجاه واحد داخل التيار الواحد !)، تستطيع بالجدية والتنوع ان « ترفع مستوى » ما نتبناه كلنا او ما نختلف حوله . (اليس من المضحك ان تقف اهدافنا عند حدود « رفع المستوى » .. ولكننا نتحدث عن عقول الجماهير القارئة من بورجوازيي المدن الصغار ، عددهم يقرب من ستة ملايين في كل مدن مصر ، ولا يزيد ما يشترونه من اي كتاب ـ في مجال غير الفكر الديني او الموضوعات الجنسية التجارية ـ على خمسة الاف نسخة .)

* * *

ان آخر مجلة ثقافية كانت تصدر في مصر بعيدا عن اشراف وزارة الثقافة وتمويلها كانت مجلة « الشهر » التي كان سعد الدين وهبه هو صاحبها ورئيس تحريرها ، والتي صدرت بانتظام لمدة تقل قليلا عن عشر سنوات ، مع انقطاع قصير في الوسط ، وتوقفت عن الصدور في عام ١٩٦١ ، وبعدها لم تظهر الا مجلة « جاليري ٦٨ » التي اصدرتها مجموعة من « شباب هذا الجيل » واعلنت في عددها الاول انها لا تلتزم بتيار معين ولا بموقف خاص (!) والتي ـ رغم هذا ـ قد اختفت قبل ان تصدر عشرة اعداد في ثلاثة اعوام .

ومنذ سنتين ، كانت وزارة الثقافة تصدر اكثر من تسع مجلات :

- المجلة منذ يناير ١٩٥٧
- الكاتب منذ يناير ١٩٦٣
- الشعر منذ يناير ١٩٦٤
- القصة منذ يناير ١٩٦٤
- المسرح منذ يناير ١٩٦٤
- الثقافة منذ يوليو ١٩٦٤
- الرسالة منذ يوليو ١٩٦٤
- الفكر المعاصر منذ مارس ١٩٦٥
- السينما منذ ديسمبر ١٩٦٨

اختفت مجلات الشعر والقصة والثقافة والرسالة قبل اكتمال عامين من اعمارها ، ثم اختفت كل هذه المجلات ـ باستثناء « الكاتب » منذ اكثر من عامين ، ولم تصدر عن وزارة الثقافة سوى مجلة «الجديد» وهذه لها قصة اخرى ، وكانت هناك دوريات اخرى ـ في شكل مجلات ـ مثل « تراث الانسانية » او في شكل كتب ، مثل « اعلام العرب » او روائع المسرحيات العالمية » ، « روائع المسرح العالمي » ، « مسرحيات عربية » ، وقد اختفت هذه « الدوريات كلها ، ولم تعد تصدر الا سلسلات المسرح كلما تيسر ذلك ، وليس بصفة منتظمة) .

وباستثناء مجلة « المجلة » في سنواتها الاولى ، حينما كانت مجلة « عتيقة » في ثوب مهيب متخلف ، ومتخصصة الى درجة تبعد المثقف العام العادي ، وثقيلة الظل الى درجة تدفع المتخصصين الى الفرار ، وباستثناء مجلتي « الرسالة » ، « الثقافة » اللتين صدرتا على اساس ان تكونا « صورة طبق الاصل » من اسميهما قبل ثلاثين سنة ، نستطيع ان نقول بان بقية مجلات وزارة الثقافة كانت عنصرا حيويا وهاما من عناصر حياتنا الثقافية . والاهم من ذلك انها كانت عنصرا « جادا » بصرف النظر عن اتجاه الجدية (!) . ان مطلب « الجدية » قد يكون ـ في بعض الاحيان ـ هو المطلب « التقدمي » الاولي الذي يسمح تحقيقه بان يكون هناك اختلاف جاد ومثمر بين الماضي والحاضر، بين التقدم والنضج او التراجع والحنين الطفولي الى الماضي ، بين الانفتاح والانغلاق ، بين احادية الفكر والنظر وبين تنوعهما الخصب . المهم ان يكون في حياتنا الثقافية شيء جاد نضمن انه سوف يصدر بصفة دورية منتظمة ، ولا ننتظر صدوره بالصدفة او باجتهاد بعض « المتصوفة » الذين قد يكون « امساكهم بدينهم كمن يمسك جمرة من النار » كما قال الرسول عن امته حين يأتي عليها مثل هذا الزمان !

بالطبع هناك المبررات الاخرى « العادية » التي تبرز « ضرورة » ان يكون لدينا مجلات ثقافية ، وليس بالضرورة ان تصدرها وزارة الثقافة ، وان كان المفهوم في ظروفنا ان تعود وزارة الثقافة الى اصدارها .

هناك مبررات من نوع ان هذه المجلات تستطيع ان تربي جمهورا من « هواة » التفكير والثقافة الجادة . جمهور « العقل » و «المعرفة» .. الى آخر هذه الاشياء التي يبدو اننا اصبحنا نتوهم انه « لا يصح » ـ او « لا ينبغي » ان نهتم بها اهتماما عاما ، طالما هناك من يتحذلقون فيهتمون بها دون ان يكون ذلك الاهتمام جزءا من وظائفهم « الرسمية ».

وهناك مبررات من نوع اخر ، كأن نقول ان هذه المجلات تستطيع

ان تعاون الناس على متابعة ما ينتجه العالم الخارجي في مجالات المعرفة والابداع المختلفة ، وتعاونهم على ان يقللوا من نسبة تخلفنا ـ لا في التفكير ومناهج العمل والتنظيم ـ وانما تخلفنا فيما يتجمع لدينا من كمية « المعلومات » ، ومن « الحقائق العينية » عما يحدث في هـذا العالم وعما يبدعه الناس هناك ، حتى لا « ننعزل عقليا وحضاريا » وحتى « نكون على مستوى المعرفة بالعصر » ، وحتى « نعيش العصر الذي نقيم فيه » وحتى « نحتك بعصرنا احتكاكا صحيا » .. الخ .. الـخ .

هناك مبررات كثيرة من هذا النوع .. ولكن يظل المبرر الاول هو المبرر الاساسي : ان ترتفع نسبة الجدية في حياتنا الثقافية والفنية ، لان « الهزل » وارتفاع نسبته يهددانا بشر مستطير .

* * *

ولكن من المؤكد ان المجلات الثقافية التي يمكن ان تصدرها وزارة الثقافة ـ في ظروفنا الحالية ـ لا تكفي لاستعادة الخصوبة التي تميزت بها الحياة الثقافية المصرية في الثلاثينات والاربعينات . ومن المؤكد ان خلق التيارات الفكرية والفنية الحرة والناضجة ، في الظـروف الاجتماعية السياسية التي نعيشها الان يحتاج الى جهود فردية وجهود جماعية خارج نطاق الجهود « الحكومية » ... ان الطبقة المتوسطة التي تجهد ان تفلت من المواجهة مع العالم بأي ثمن يضمن لها البقاء على قمة المجتمع ، ليست الا قطاعا واحدا من قطاعات هذه الطبقة نفسها وهناك ـ دون حاجة الى تحليل اجتماعي موسع ـ قطاعات اخرى من نفس الطبقة ، بعيدة عن القمة الاجتماعية ما تزال تعيش حالة المواجهة مع العالم ، والاحتياج الى معرفته والى التعبير عن وجهة نظرها فيه وحساسيتها ازاءه ، اي انهـا مـا تزال تعيش تلك « الحالة » الليبرالية المؤقتة » لدى القطاعات الصغرى من بورجوازية العالم الثالث . وهناك فئات اجتماعية ـ اذا نظرنا الى المجتمع نظرة فئوية غير طبقية ـ تحتاج ايضا الى معرفة العالم والى التعبير عن ذاتها غير المتحققة فيه ، وهي فئات بحكم وضعها الثقافي والسياسي ، لا بد من ان تلعب في النهايـة دورا تحرريا اذا لم تقع في براثن التعصب العنصري تحت وطـأة الشعور بالعزلة والاستعلاء على المجتمع كله ... هذه القطاعات الطبقية والفئات الاجتماعية تستطيع ان تضمن ازدهارا معقولا لاكثر من تيـار تحرري وانسان في مجالات الفكر والمعرفة والفن ، وان تضمن بالتالي ازدهارا معقولا لاكثر من مجلة ثقافية واحدة تساهم في استعادة المناخ الثقافي والفكري الجاد والمتحرر والخصب . ولذلك فقد يكون مـن المفيد ان نرى في المستقبل ، مجلات ثقافية ، فنية وعلمية وفلسفية ، تصدرها الهيئات المستقلة (اتحادات العمال والمهنيين مثلا ، او الطلبة او الهيئات العلمية ذات الطابع المستقل) او يصدرها افـــراد او جماعـات .

القاهـرة — **سامي خشبة**

العراق

رسالة من : ماجد السامرائي

غياب فنـان ...

وحيدا ، وكما يموت الغرباء ،عثر على جثة الفنان العراقي منعم فرات ـ خاتمة الفن الساذج في العالم ـ ملقاة جنب واحد من ارصفة بغداد .. بعد ان دهسته سيارة مجنونة ، مجهولة ..

كان ذلك مساء يوم الاربعاء : الثاني من شهر آب ..

ربما قال ذلك السائق المجنون : انه دهس رجلا قرويا ، كبيـر السن .. ولم يكن يعلم ، او يقدر ، اية عبقرية فذة قتل في « منعم فرات » ... وربما ايضا احس بندم كبير حين عرف ذلك ـ ولا اظنـه عـرف !

كان يخشى الموت .. فمات بهذه الطريقة المأساوية ..

او قل انه لكثرة ما خشي الموت ، وفكر به ، تلقاه بأعنف صوره.. كان يخشى ركوب الطائرة ... فربما تسقط به ، فيموت ..

وكان يرفض استخدام المصعد الكهربائي ، فربما يتعطل به، فيختنق قل : كان مليئا بهاجس الموت ، فجعل تماثيله تفصح عن امتلاء بهاجس الحياة ، والحيوية ، والدفق .. وان حملت من الهمـوم الغامضة الشيء الكثير ..

قبل اكثر من نصف قرن بدأ .. وظل مجهولا .. فلم يكتشف الا قبل حوالي عشر سنين (بالضبط عام ١٩٦٠ ..) ... وبعد ان اخذت اعماله تحتل مكانا هنا ، وآخر هناك .. وبعد ان تسرب بعضها الـى خارج القطر ، نبهنا اليه الفنانون والنقاد الاجانب ، الذين ادهشتهم اعماله .. وربما كانت دهشته هو اكبر حين وجد نفسه فجأة فـي منطقة النور ، بعد اكثر من نصف قرن من حياته عاشه مجهولا ، لا يكاد يعرفه احد ... الا انه ظل يكتمها صرخة كبيرة ما لبثت ان تفجرت بكل ما فيه من غرابة ، وعناد ، واعتداد ، وتفرد في الشخصية والاسلوب..

ولدهشة هؤلاء الفنانين والنقاد ، وللمفاجأة التي واجهتهم في اعماله ، راحوا يكتبون عنه (1) ... متقصين آفـاق عالمه . منهم مـن اعتبره ممثلا لكل الاتجاهات الفنية في كل القارات (ألبرتو تشاتيني) .. ومنهم من وجد ان المادة التي يتعامل معها (الحجر) ، وان كانت تذكرنا بفن امريكا الوسطى ، او بفن افريقيا القديمة .. الا انها « في الوقت نفسه تحول تفكير المشاهد ، على الفور ، صوب العلاقة الكائنة بيـن المادة ووسائل معالجة هذه المادة ، والصورة التي تنتج عنها .. وهي نوع من التفكير غالبا ما اهملت دراسته كل الاهمال فـي دراسة تاريخ الفن » (المستشرق البلجيكي البروفسور آرمن آبيل) ..

ان اعمال هذا الفنان ـ بما فيها من بدائية وسذاجة تحكم ابعادها، وتخضعها لتقنية خاصة ـ تستمد اصولها من حضارة وادي الرافدين . كما يمكن ان تعد الخلاصة الاصفى لهذا الفن : البدائي . فهذه العيون المزروعة في رؤوس اشكاله عيون سومرية ، وكل التفاصيل الاخرى يمكن ان نجد شبيها لها في اعمال فنانينا البدائيين منذ اقدم عصور التاريخ .. ولكنه ليس ذلك الشبه الحرفي (النقلي) .. لعله استمد منهـا الروح ، واخضعها لعفوية يده ، وتعقيد تفكيره البدائي ..

« اشكاله يعتورها غموض .. وغموضها متأت من هذه العلائق التي يخلقها في المنحوتة الواحدة ، والجسم الواحد ، وهي ـ الاشكال ـ وان بدت محاطة بمبالغات لا منطقية ، وهيئات خرافية .. فهـي ، بمجملها ، رؤيـا فنان ، ربمـا اراد من خلالها ، ان ينفـذ الى صميم الجوهر الانساني ، فيعكس هذا « الجوهر » بطبيعته المتخيلة . وما

(1) لا بد من الاشارة هنا الى ان النحات العراقي محمد غني كان من اوائل من كتبوا عنه في مطلع الستينات .. ونشرت مقالته في احد اعداد مجلة « العراق الجديد » ..

الفنان العراقي منعم فرات

★ ★ ★

يجعلني اذهب الى هذا هو ما في اعماله من تكرار ، وسمات نمطية ، ومبالغات خرافية ايضا . وما في هذا الفنان من غرابة في الكثير من جوانب شخصيته ، ومزاياه ، تجعله قريبا كل القرب من شخصية الفنان العراقي القديم ، الذي تنقل لنا اعماله بعضا من مميزات وخصائص شخصيته .. « فالفن العراقي معروف بانه قد كان منذ القدم ـ رسما ونحتا ـ فن الكتلة والصلادة والاعتداد » (د. عبد الحق فاضل) .. وهو ما يتمثل في اعمال منعم فرات ، وشخصيته ... وهل الفن الا اعماق الفنان تنبض بحقيقتها فتتجسد في كتلة ، او على شكل مسطح (خامة) ؟..

.. وما يجعلنا نقول بتأثرات فناننا بالفن العراقي القديم ، او بفن الحضارات القديمة عموما وان يكن لم يطلع عليها الاطلاع الكافي (حسب ما هو متوفر لدينا من معلومات) هو هذا التركيب الذي تتشكل منه منحوتاته : جسم حيوان ورأس انسان .. راس حيوان وجسم انسان .. الخ .. وهو ما يشيع في اعمال الفنان البدائي القديم .. وهو ليس احتقارا للجنس البشري ، او ازدراء للانسان .. انما هو ، ومن وجهة نظر الفنان البدائي ، تكريم له . وقراءة دقيقة « لملحمة كلكامش » ، بالاضافة الى المنحوتات ، تعطينا فكرة واضحة عن ذلك :

« فالظاهر ان نسبة الممدوح الى بعض الحيوانات كان تكريما له ». فهذا «كلكامش» يثني على خليله انكيدو فيدعوه ابن الحمار الوحشي » ..

د . عبدالحق فاضل ـ هو الذي راى ـ دار النجاح ـ بيروت ١٩٧٢ ـ ص ٥٣)

ولكن .. ألا يبدو .. منعم فرات فنانا ثائرا ، فهو ، في اعماله، يحطم الوتيرة التقليدية في الحياة .. ويجد متعته المطلقة في هذه البدائية ، الفوضوية ، المتشابكة ، المعلنة عن شهواتها ، ونزعاتها .. البائحة بكل اسرارها ، بتكشف وعري يصلان حد التهتك .. كل هذا .. الا يشكل ثورة ؟ وهل الثورة اكثر من معارضة لنمط ، واحتجاج على اسلوب ؟

ربما كان « منعم فرات » يخاف الموت كثيرا .. او هو كذلك بالفعل .. ولعل هذا ذاته هو ما جعل ازمته تتفاقم ، ممتصة كل تفكيره ، لتحوله الى هذه « الفوضاء الانسانية » المختلطة ، المعبر عنها بهذا التمازج والانصهار بين كائنات مختلفة .

والذي يبدو هو ان وقع الحياة كان شديدا وقاسيا على نفسه ... وما هذه « الشهوة المضطرمة » والمعبرة عن نفسها باشكال وهيئات واوضاع مختلفة الا « الفعل المعاكس » .. او هي التصدي للحزن ، والخوف ، والتناقض مع الموت ، وتحديه . فاذا كان الموت يعني السكون ، فان الممارسة الجنسية تعني الحيوية كلها .. تعني فعل الحياة الذي يعبر عن الديمومة والاستمرار ..

بهذا المعنى يكون « منعم فرات » قد اكتشف ، وهو الفنان الفطري ، احدى اهم حقائق الوجود الانساني .. فشعر بوجوده من خلالها .. وكرّس هذا « الوجود » لتأكيد رؤياه لها . ان« الوجود المبطن » للاشياء والكائنات هو ما كان يعنيه .. وكل واحد من « مخلوقاته » يكاد يعيش محنته مع الاخرين ، وبمعزل عنهم ، في وقت واحد .. وهي ـ جميعها ـ تكاد تحمل في ملامحها ،وخطوطها العامة ، معضلات تتشابه ، من هذا الوجه او ذاك ، مع معضلاته هو ..

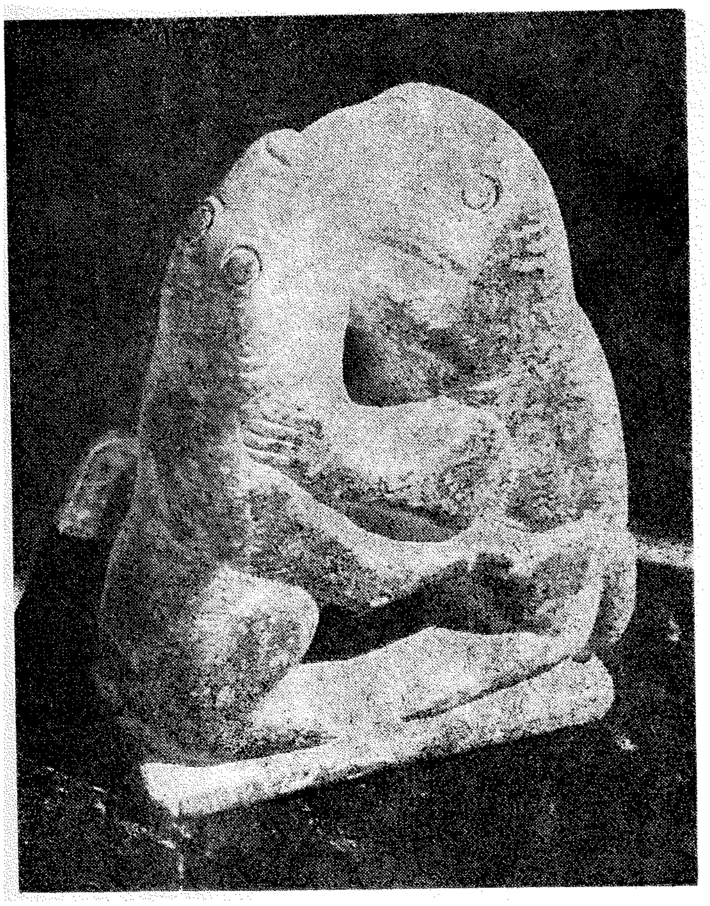

من اعمال الفنان العراقي منعم فرات

ولا اجدني مغاليا اذا قلت ان « منعم فرات » كـان اكبر من الحياة في محيطه . ومن هنا لم تكـن هذه الحياة تطيق رؤياه . ولا كان هـو يطيق محدوديتها . وهكذا كـان يقترب كثيرا من حافـة الياس ،ولكنه يفلت .. ويجـد الابواب مغلقة ، فيواصل البحث في جدران سـور الحياة الذي كـان يطوّقه ، عـن منفذ الى الجانب الاخر ، ولا يجـد ذلك الا في الفن .. وفي ممارسته لهذا الفـن ، الذي كـان عنـــده مغامرة ، وايـة مغامرة هذه هي التي تمثلهـا « دلالات رمزية » كبيرة.. كما كان عنده تعويضا عن كبت الخارج ،ورعب الخارج والداخل معا .

من هذه الزاويـة لا يمكـن ان نعد تماثيل « منعم فرات » ممثلة لحالات فردية ، او انهـا احتضان لوجوده الخاص وحده .. انهـــا بالاضافـة الى ذلك ، كانت تعبيرا عـن حالات انسانية معاشة ..وربما كان « منعم فرات » يحمل « حقيقة البشرية » في راحتيه .. ويقـول لمن يمرون به : تاملـوا ..

*

.. وبقدر ما حقق هذا الفنان للفن ـ او قل اعـاد اليـه ـ بدائيته ، وفطريته ، واصالته ايضا .. فانه جعله ، ومن خلال هـذه العناصر مجتمعة ، بعيدا عـن كل فهم محدود ، بمـا كـان يخلقه فـي نماذجه من تحويرات شكلية ، وصعوبات رؤيوية ، كانت بمثابة الحصانة لفنه من كل تفسير ساذج ..

من زاوية نظر اخرى ، يبدو ان منعم فرات كـان فنانا تهمــه نفسه ، وفنه ، ولا يهمه الاخرون كثيرا . فهـو لم يكـن ينحت للاخرين او ياتي بمـا يتفق ورغباتهم .. انمــا كـان يجسد ما يحس ،ويشعر، ويحيـا ايضا .. فيحيل رؤياه للاشياء الى اشكال لا يهمه ما يقولـه الاخرون فيهـا وعنها (من جانب تعاملهـا مع الموضوع) ، وانما كـان همه الاول والاخير ان يترجم احساساته في هذه الحياة ، ويحيــــل مواقفه الى مثل هذه الاشكال الصلدة المعبرة عن عنف وحيوية هما من صميم تركيبه الشخصي .. فاشكاله ، في جوهرها ، هي التعبير الادق عن حياته : الفكرية ، والنفسية ، والاجتماعيـة ، والحياتية ..

بغـداد　　　　**ماجد صالح السامرائي**

البَدِيل

تأليف الفيلسوف الفرنسي الشهير

روجيه غارودي

ترجمة جورج طرابيشي

هذا آخر كتاب ألفه الكاتب الماركسي الفرنسي الكبير روجيه غارودي ، وهو ينطلق من السؤال التالي: ما هي الاشياء التي تفضحها الشبيبة ، وما هي الاشياء التي تبشر بها ؟ انه يتوجه الى الشبيبة اذن ، اي الى جميع الذين يعتقدون ان حياة الانسان ليست مصنوعة فقط لكي تقبل او تلعن، بل لكي تبدأ وتخلق. وسيكون بالامكان ان يبلغ هذا الكتاب هدفه اذا ساعد البعض على ان يعوا المأزق ويحاولوا الخروج منه . فـــاذا استسلمنا لانحرافات الحاضر المفجعة ، فان الانسان ومحيطه سوف يدمران خلال ثلاثين عاما ، بحيث لا يكون ثمة وقت للعيش ...

ان يعي الانسان الممكن ، هو ان يبدل مفهـــوم السياسة نفسها ، وليس هو الاعتقاد بوصفة ما سحرية تنقذنا من « الخارج » ، بلا مشاركتنا الشخصية . ليس ثمة تحرير ممنوح ، بل ثمة نار يمكن ان تشتعل . وقد تنطفيء هذه النار اذا لم يكن ثمة انسان مصمم عـــلى تغذيتها بأفضل ما في نفسه ووجوده .

واذن ، فان هذا الكتاب التزام : التزام بالنسبة لمن كتبه ، والتزام بالنسبة لمن يقرأه .

ويقول غارودي : لقد كنت مجبرا على كتابته لاظل امينا للحلم الذي كان يراودني وانا في العشرين . فهو يمثل في حياتي انقطاعا وتكملة في آن واحد، استئصالا وتأصيلا جديدين للجذور . »

يصدر هذا الشهر